الاستشفاء من شراسة السرطان بمطلع الربيع العربي

فوزية أبو خالد

رائحة حرية في الإرجاء

فمن يحدس إتجاه الرياح

11/ 1/ 2011م

هل كنت أحدس ولو بنسبة واحد في الألف وأنا أستقبل العام الميلادي الجديد بنزق وغرور فيما أتنقل بين مضائق الواقع وفضاءات العالم الافتراضي مزهوة بصخب الشباب على الفيس بوك وتويتر وهم ينثرون بذور الربيع العربي في البر والبحر والأطراف المهملة من البلاد، غير ما كان يمشي في دمي من نشوة شرارة البوعزيزي التي أشعلت عرس تونس وأطلقت رائحة الحرية في الجهات، بأنني بعد أقل من أسبوع سأُنتزع نزعا من مساري الحياتي الآمن المعتاد ومقاوماتي اليومية المتواضعة لأمشي وحيدة ولكن مع الملايين في موكب مقاومة جماعي وشرس.. هل كنت أحدس ولو في أشر أو أعذب الأخيلة بأنه بعد شهر واحد فقط ستكون يدي المغموسة في أغوار البحث، المشغولة بمس مفاتيح لوحة المحمول، معلقة بجانبي كجناح مقطوع لا أستطيع الهرب من صرخات آلامها ولا البقاء مع حرمانها من الحبر، فيما اللافتات والهتافات والشبيبة وأصابع الشعب المصري العشرة وعيون الشباب العربي والأحرار كلها تكتب تاريخ تحرير جديد في ميدان التحرير. «الشعب يريد إسقاط النظام... شدي حيلك يا بنت شد حيلك يا ولد دي البلد بتنولد. الفجر قرّب والشباب صاحي صاحي طيبي يااااجراحي طيبي يااجراحي». صارت تلك الكلمات العفوية ملعقة عسل أقاوم بها علقم الوجع الضاري الراكض في صدري.

لقد كتب لي الشيخ عبد المقصود خوجة (مُكرم المثقفين)، بعد أن فقد ابنه في شرخ الشباب وخبر مقتل الطالب الجامعي خالد سعيد بالإسكندرية يستجرح

جرحه: «ليت لنا حياتين، حياة نعيشها وحياة أخرى نتأمل بها حياتنا ومفاجآتها الفاجعة أو لحظات الحنان التي تأتي من حيث لم نحتسب».

صرت كل يوم أصحو على وقع آلامي وركضي بين محاضراتي وبين فحوصاتي الطبية المفاجئة، أتفحص الحدث اليومي البسيط في حياتي والحدث السياسي الملتهب أمامي وأشعر بأنني وأنا في هذه اللحظة التي قد أكون فيها مهددة بالموت بدأت للتو أعيش أكثر من حياة دفعة واحدة. حياتي، والحيوات الصاخبة المتموجة بأكثر من جيل ثائر أمامي وداخلي في الفيس بوك وعلى قناة الجزيرة وعبر جهازي العصبي ودمي.

فيما كنت أنتظر نتيجة الخزعة وصلتني رسالة الزميل الباحث أ. د. عبد الوهاب بن حفيظ

يقول فيها أكتب لك من تونس الحرة وقد استجاب القدر.

فرددت هل تظن أنها نبوءة شاعر غادر الحياة وهو في شرخ الشباب بعد أن وهب حياته للشعر أو أنه بوعزيزي الذي انتزع لتونس أسباب الحياة بموته. لعلها الحرية التي عبر التاريخ البشري لم تقبل ولا تقبل بأقل من استبدال الموت بالحياة مهرا لها. فسلام لحرائر وأحرار تونس لريثما يحوّلون الحرية إلى حقيقة تمشي على الأرض برأس مرفوع وهذا هو التحدي لنا جميعا.

الحمد لله أن وهب الله جيلنا عمرا لنعيش ولو بالمشاهدة مشهد الثورات التي تفتقت عيوننا على ضوء القراءة عنها من ثورة الغار التي مثلتها الرسالة المحمدية إلى ثورة الأنوار التي انطلقت من فرنسا في مشتركات التوق الإنساني للحرية والكرامة والعدل واللقمة الحلال، بعد أن فقأ عيوننا سقوط شعارات ثورات الخمسينيات والستينيات والسبعينيات ونهبت أحلامنا أطماع أنظمة العسكر الواحد تلو الآخر بعالمنا العربي، بما كاد أن يحول في جيلي على الأقل الحلم بالتحولات إلى مستحيل رابع أو سابع.

نتيجة الخزعة إيجابية، كانت الفجيعة ستكون ساحقة لولا أنها ولدت على حافة البركان وفوق قمة جبل شاهق يبشّر باندلاعات مطلع الربيع العربي.

يوم 25 يناير

شعب مصر يستعيد مصر من الظل ويعيد شمسها على الخارطة العربية وعلى الشاشات العالمية. فبعد أن جرت بشكل منظّم محاولات جر مصر بعيدا عن موقعها التاريخي الطليعي وإدخالها في معزل قطري يسلّمها لشروط الجيرة الجائرة للاستعمار الإسرائيلي الاستيطاني على أرض فلسطين فهاهي مصر كما جاء بجريدة الإندبيندنت اللندنية تعيد النظر فيما تعرّض له دورها التاريخي من بطالة وتسريح بعد مرحلة كانت مصر بوصلة العالم العربي.

أخوض معركتي الذاتية مع ظرف الصحي المباغت الغادر بما يكاد يغيّر عاداتي المتأججة التي لا تهدأ عادة في العلاقة مع الواقع ومع ما حولي وبمن حولي. إلا أن تزامن هذا الظرف الشخصي مع حالة الغرق في مدينة طفولتي جدة ومع حالة الاشتعال الوطني الحارق بمصر يجعلني أرفض الانسحاب من المشهد المشتهى. فمن يرضى بالنزول عن السفينة وقد فار التنور إلا أولئك الهالكون الذين ليسوا من أهل نوح.

يخوض طالباتي معركتهم البحثية الذاتية الفذة مع دراسة أطروحة الإصلاح بالمجتمع السعودي دراسة نظرية ميدانية من منظور علم الاجتماع السياسي، فأجد نفسي كشريكة مباشرة في العمل وكمشرفة عليه متورطة إلى ما فوق حبال رقبتي في الذود عن المشروع بكل قطرة من وقتي الراكض ضدي.

الأسبوع الثالث من عام الأمل

7/ 2/ 2011م

شباب مصر

نساء مصر

فقراء مصر

مثقفو مصر

مسلمو مصر ومسيحيوها

شعراء مصر